



الكرسي الرسولي

الزيارة الرسولية إلى مدغشقر

عظة قداسة البابا فرنسيس خلال القداس الإلهي

ميدان إيبارشية سوامندراكيزاي، أتاناناريفو

الأحد 8 سبتمبر/أيلول 2019

قال لنا الإنجيل: "كانت جُموعٌ كثيرةٌ تَسِيرُ مَعَهُ" (لو 14، 25). وعلى غرار تلك الجُموع التي كانت تتجمع طيلة مسيرة يسوع، أنتم أيضاً قد جئتم بأعداد كبيرة كي تقبلوا رسالته وتتبعوه. لكنكم تعلمون أيضاً أن أتباع يسوع ليس مريحاً. أنتم لم تتراحوا، فالكثير منكم قد مضى الليل هنا. واليوم، يذكّرنا إنجيل لوقا بمتطلبات هذا الالتزام.

من المهم أن نلاحظ كيف أن هذه الوصايا قد أعطيت ضمن إطار صعود يسوع إلى أورشليم، بين مثل المأدبة التي يدعى إليها الجميع، (خاصةً المنبذين الذين يعيشون في الشوارع، وفي الساحات وعلى مفترق الطرق)؛ و"أمثال الرحمة" الثلاثة، حيث يقام احتفال بالعثور على ما قد فُقدَ، وحيث يُستقبل الشخص الذي بدا وكأنه ميت، ويحتفل به وتُعطى له الحياة مجدداً مع إمكانية البدء من جديد. فلا معنى لأيّة تضحية مسيحية، إلّا في ضوء الفرح والاحتفال بلقائنا مع يسوع المسيح.

أول المتطلبات هي أن ننظر إلى علاقاتنا العائلية. تبدو الحياة الجديدة التي يقدمها الربّ لنا غير مريحة وتحوّل إلى ظلم فاضح عند الذين يعتقدون أن دخول ملكوت السماء يقتصر على روابط الدم، أو الانتماء إلى مجموعة معينة، أو سبط أو ثقافة معينة. عندما تصبح "العائلة" هي المقياس الحاسم والأساسي لكلّ ما هو صائب وصالح، ينتهي بنا الأمر إلى تبرير وحتى "تكريس" بعض الممارسات التي تؤدي إلى ثقافة الامتيازات والاستبعاد (المحسوبية والاعتمادية وبالتالي، الفساد). إن متطلبات المعلم تقودنا إلى رفع أعيننا وتقول لنا: الشخص غير القادر على رؤية الآخر كأخ، وأن يتأثر بحياته ووضعه ... والنظر أبعد من جذوره العائلية، والثقافية والاجتماعية "لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً" (لو 14، 26). حبه وتفانيه هما هبة مجانية من الجميع وللجميع.

يوضّح لنا المطلب الثاني صعوبة اتباع الربّ عندما نريد أن نساوي ملكوت السماوات بمصالحنا الشخصية أو بميلنا لأيّ أيديولوجية تقود إلى استخدام اسم الله أو الدين لتبرير أعمال العنف والتمييز وحتى القتل والنفي والإرهاب والتهميش. ويشجّعنا مطلب المعلم على عدم التلاعب بالإنجيل عبر اختلالات قاتمة، بل على بناء التاريخ بالأخوة والتضامن، في الاحترام المجاني للأرض وعطاياها ضدّ جميع أشكال الاستغلال، تشجيعنا على "تبني ثقافة الحوار دَرَباً، والتعاون المشترك سبيلاً، والتعارف المتبادل نهجاً وطريقاً" (وثيقة الأخوة الإنسانية، أبو ظبي، 4 فبراير/شباط 2019)؛ من خلال عدم الخضوع لإغراءات تعاليم معينة غير قادرة على رؤية القمح ينمو مع الزؤان بانتظار عودة سيّد الحصاد (را. متى 13، 23-30).

أخيراً، كم هو صعب المشاركة في الحياة الجديدة التي يقدمها لنا الربّ عندما نضطرّ باستمرار إلى تبرير أنفسنا، اعتقاداً

مَّا أَنْ كُلَّ شَيْءٍ يَأْتِي حَصْرًا مِنْ قُوَّتِنَا وَمِمَّا نَمْلِكُهُ! أَوْ عِنْدَمَا يَصْبِحُ السِّبَاقُ إِلَى تَجْمِيعِ الْمَمْلُوكَاتِ خَانَقًا وَسَاحَقًا - كَمَا سَمِعْنَا فِي الْقِرَاءَةِ الْأُولَى - فَتَتَفَاقَمُ الْأَنْثِيَّةُ وَبِكثَرِ اسْتِخْدَامِ الْوَسَائِلِ غَيْرِ الْأَخْلَاقِيَّةِ. إِنْ مَطْلَبُ يَسُوعَ هِيَ دَعْوَةُ لَاسْتِعَادَةِ الذاكرةِ الْمَمْتَنَّةِ وَلَأنَّ نَدْرَكَ أَنَّ حَيَاتِنَا وَقُدْرَاتِنَا هِيَ أَكْثَرُ مِنْ مَجَرَّدِ انْتِصَارِ شَخْصِيٍّ، هِيَ ثَمَرَةُ هَبَةِ مَا (رَأَى). الْإِرْشَادُ الرَّسُولِيُّ أَفْرَحُوا وَابْتَهِجُوا، (55)؛ هَبَةُ مَنْسُوجَةٍ بَيْنَ اللَّهِ وَالْعَدِيدِ مِنَ الْأَيْدِي الصَّامِتَةِ، أَيْدِي أَشْخَاصٍ لَنْ نَعْرِفَ أَسْمَاءَهُمْ إِلَّا عِنْدَ تَجَلِّيِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.

مَعَ هَذِهِ الْمَتَطَلِّبَاتِ، يَرِيدُ الرَّبُّ أَنْ يَهَيِّئَ تَلَامِيذَهُ لَعِيدِ ظُهُورِ مَلَكُوتِ اللَّهِ، مُحَرَّرًا إِيَّاهُمْ مِنْ هَذِهِ الْعَقْبَةِ الْخَطِيرَةِ الَّتِي، فِي النِّهَايَةِ، هِيَ مِنْ أَسْوَأِ أَنْوَاعِ الْعِبُودِيَّةِ: أَنْ نَعِيشَ لِنَفْسِنَا. أَيْ الْمِيلُ إِلَى الْانْغِلَاقِ فِي عَالَمِنَا الصَّغِيرِ الَّذِي يَقُودُ إِلَى تَرْكِ مَسَاحَةِ صَغِيرَةٍ لِلْآخَرِينَ: لَا يَدْخُلُهُ الْفُقَرَاءُ، وَلَا نَسْمَعُ صَوْتَ اللَّهِ، وَلَا نَتَمَتَّعُ بِفَرْحِ مَحَبَّةِ اللَّطِيفَةِ، وَلَا نَشْعُرُ بِحِمَاسَةِ صَنْعِ الْخَيْرِ... يُمْكِنُ لِلْعَدِيدِ مِنَ النَّاسِ، فِي انْغِلَاقِهِمْ، أَنْ يَشْعُرُوا بِالْأَمَانِ "ظَاهِرِيًّا"، لَكِنْهُمْ يَتَحَوَّلُونَ فِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ إِلَى أَشْخَاصٍ يَعِيشُونَ بِمَرَارَةٍ وَحُزْنٍ، لَا حَيَاةَ لَهُمْ. هَذَا لَيْسَ خِيَارَ حَيَاةٍ كَرِيمَةٍ وَكَامِلَةٍ، وَلَيْسَ رَغْبَةً لِلَّهِ لَنَا، وَلَيْسَتْ الْحَيَاةُ فِي الرُّوحِ الَّتِي تَتَّبَعُ مِنْ قَلْبِ الْمَسِيحِ الْقَائِمِ مِنَ الْمَوْتِ (رَأَى. الْإِرْشَادُ الرَّسُولِيُّ فَرَحَ الْإِنْجِيلِ، 2).

إِنَّ الرَّبَّ يَدْعُونَا عَبْرَ هَذِهِ الْمَطَالِبِ، وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى أَنْ نَرْفَعَ نَظْرَنَا، وَنَعْدَلَ أَوْلَوِيَّاتِنَا، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، أَنْ نَفْسَحَ الْمَجَالَ أَمَامَ اللَّهِ لِيَكُونَ مَرْكَزَ حَيَاتِنَا وَمَحْوَرَهَا.

لِنَلْقِ نَظْرَةً عَلَى بَيْتِنَا، كَمِنْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالشَّبَابِ وَالْأَطْفَالِ يَعَانُونَ وَهُمْ مُحْرَمُونَ تَمَامًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ! هَذَا لَيْسَ ضَمْنِ تَدْبِيرِ اللَّهِ. كَمِنْ أَنْ دَعْوَةُ يَسُوعَ هِيَ مَلْحَةٌ، دَعْوَتُهُ لِلتَّخَلِّيِ عَنِ انْغِلَاقِنَا، وَأَنْأَنِّيَّتِنَا وَكِبْرِيَّاتِنَا كَيْمَا يَتَنَصَّرَ فِينَا رُوحُ الْإِخَاءِ - الَّذِي يَنْبَغُ مِنْ جَنْبِ يَسُوعَ الْمَفْتُوحِ، وَحَيْثُ نُولَدُ كَأَسْرَةٍ لِلَّهِ - وَحَيْثُ يُمْكِنُ لِلْجَمِيعِ أَنْ يَشْعُرُوا بِالْحُبِّ، لِأَنَّهُمْ مُسْتَوْعِبُونَ وَمَقْبُولُونَ وَمَقْدَّرُونَ فِي كِرَامَتِهِمْ. "غَالِبًا مَا يَبْقَى الْمَرْءُ، إِزَاءَ الْكَرَامَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي تَدَاسُ بِالْأَقْدَامِ، مَكْتُوفُ الْأَيْدِي أَوْ أَنَّ الْأَيْدِي تَتَفَتَحُ وَهِيَ عَاجِزَةٌ إِزَاءَ قُوَّةِ الشَّرِّ الْمَظْلَمَةِ. لَكِنْ الْمَسِيحِيُّ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْقَى مَكْتُوفُ الْأَيْدِي، غَيْرَ مَبَالٍ، أَوْ أَيْدِيهِ مَفْتُوحَةٌ وَهُوَ قَدْرِيٍّ، كَلَّا. الْمُؤْمِنُ يَمْدُّ يَدَهُ، كَمَا صَنَعَ يَسُوعَ مَعَهُ" (عِظَةُ الْبَابَا خِلَالِ الْقُدَّاسِ الْإِلَهِيِّ فِي الْيَوْمِ الْعَالَمِيِّ لِلْفُقَرَاءِ، 18 نَوْفَمْبَرٍ/تَشْرِينِ الثَّانِي 2018).

إِنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ الَّتِي سَمِعْنَاهَا تَدْعُونَا إِلَى مُتَابَعَةِ الْمَسِيرَةِ وَإِلَى الْجَرَاةِ عَلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ الْقَفْزَةِ النُّوعِيَّةِ وَإِلَى اعْتِمَادِ حِكْمَةِ التَّخَلِّيِ الشَّخْصِيِّ كَأَسَاسٍ لِلْعَدَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَلِحَيَاتِنَا الشَّخْصِيَّةِ: لِأَنَّهُ بَاسْتَطَاعَتِنَا مَعًا أَنْ نَحَارِبَ كُلَّ تِلْكَ الْأَلْهَةِ الْكَاذِبَةِ الَّتِي تَضَعُ فِي مَحْوَرِ اتِّبَاهِنَا الضَّمَانَاتِ الْخَادِعَةَ لِلسُّلْطَةِ، وَالْحَيَاةَ الْمَهْنِيَّةَ، وَالْمَالِ، وَابْتِحَاحَ عَنِ الْأَمْجَادِ الْبَشَرِيَّةِ.

إِنَّ الْمَتَطَلِّبَاتِ الَّتِي يَشِيرُ إِلَيْهَا يَسُوعُ تَصْبِحُ هَيِّئَةً عِنْدَمَا نَبْدَأُ فِي تَذَوُّقِ فَرْحِ الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي يَقْتَرِحُهَا عَلَيْنَا: الْفَرْحُ الَّذِي يَأْتِي مِنْ مَعْرِفَةِ أَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ مَنْ يَخْرُجُ لِلْبَحْثِ عَنَّا فِي مَفْتَرِقِ الطَّرِيقِ، حَتَّى عِنْدَمَا نَضِلُّ مِثْلَ هَذِهِ الْخُرَافِ أَوْ مِثْلِ الْإِبْنِ الضَّالِّ. عَسَى أَنْ تَحْتَنَّنَا هَذِهِ الْوَاقِعِيَّةُ الْمَتَوَاضِعَةُ -إِنَّهَا وَاقِعِيَّةٌ، وَاقِعِيَّةٌ مَسِيحِيَّةٌ- عَلَى مَوَاجَهَةِ التَّحْدِيَّاتِ الْعَظِيمَةِ، وَتَمْنَحُكَمُ الرِّغْبَةَ فِي جَعْلِ بِلَادِكُمُ الْجَمِيلِ مَكَانًا يَصْبِحُ فِيهِ الْإِنْجِيلُ حَيَاةً، وَتَكُونُ فِيهِ الْحَيَاةُ لِمَجْدِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ. لِنَقَرَّرْ وَلِنَتَّبَنَّى مَشَارِيعَ الرَّبِّ.

©Copyright - Libreria Editrice Vaticana